{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}، {وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} و{هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}.. وأشهدُ أن محمداً عبدُ اللهِ وسولهُ، ومصطفاهُ وخليلهُ، نبيٌ كريم, شرحَ اللهُ لهُ صدرهُ، ورفعَ لهُ ذكرهُ، ووضعَ عنهُ وزرهُ، وأتمَّ لهُ أمرهُ، وأعلى في العالمين قدْرهُ، وجعلَ الذِلةَ والصْغارَ على من خالفَ أمرهُ، صلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ عليهِ وعلى آله وأصحابهِ البررةِ، والتابعين وتابعيهم بإحسانٍ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً .. أما بعد: فاتقوا الله عباد الله، اتقوه حق التقوى، واعلموا أن من تواضعَ لله رفعَهُ، ومن تكبرَ على الله وضعَهُ، ومن كان مع الله، كان اللهُ معَهُ، وإذا أردت أن تعرفَ قدركَ عندَ اللهِ، فانظر في هواكَ، وما تميلُ إليهِ نفسُكَ.. {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُون}..

معاشر المؤمنين الكرام: عامٌ هجريٌّ جديدٌ أقبلَ علينا، نسأل الله أن يجعله عام خيرٍ وبركة، وصلاحٍ لأحوالنا وأحوال المسلمين.. وما من عامٍ يقبلُ إلا ويحملُ في طيّاته عبرةً للمتفكرين، وتذكرةً للمؤمنين، ورسالةً للمعتبرين، أنَّ الزمان يمضي ولا يتوقف، وأنَّ العمر يتناقصُ باستمرار، وأنَّ الأجلَ يقترب.. {فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُون}.. {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا \* اقْرَأْ كِتَابَكَ، كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}.. فليت شعري، ماذا كتبنا في صفحات عامنا المنصرم؟.. وما الذي سنكتبهُ في صحائف عامنا الجديد؟.. {هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}.. وصدق من قال: إذا أنت لم تزرعْ وأبصرتَ حاصدًا.. ندمتَ على التفريطِ في زمنِ البذرِ..

أيها الأحبة الكرام: التحولُ من الواقع الراهن, إلى الحالِ المنشود، هو ما يمكنُ أن نطلق عليه إجمالاً بالتغيير الإيجابي.. فالزمانُ وأوقاته، ومواهبُ الأنسانِ وطاقاتِه.. هبةُ من الله الحكيم لعباده، وهي في نفس الوقتِ ابتلاءٌ لهم واختبار؛ كيف يعملون؟ وكيف يستثمرون أوقاتهِم وطاقاتهِم، {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}.. {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُون}.. وواقع الحال يا عباد الله، أنَّ كثيرًا من الناس يُعاني من الأفكار السلبية، والقناعاتِ المقِعدة، والعاداتِ المثبطة، والخمولِ النفسي، والتبلدِ الحسي، والعزيمةِ الباردة، والكسلِ عن الطاعات، والإسرافِ في المباحات، ومعاودة ذنوب الخلوات، وربما إدمانِ بعض المحرمات.. وليس الشأنُ ألا نذنبَ ونخطئ، فكل ابن آدم خطاء.. وإنما العيبُ أن نرضى بواقعنا السيء ونستسلم له، وفي أيدينا أن نغيره للأفضل..

تأمل يا رعاك الله: قول الشاعر الحكيم: ولم أر في عيوب الناس عيباً.. كعجز القادرين على التمام.. والمعني: أن أكبر عيبٍ لا يليق بالإنسان، هو العجز وضعف الهمة، وأن يكون الانسانُ لديه القدرة والاستطاعة على أن يكون في حال أفضل وأكمل، ولا يحول بينه وبين ذلك إلا ضعفُ الهمة، وبلادة النفس، والعجز والكسل.. في الحديث الصحيح: "نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس، الصحة والفراغ".. فالمغبون حقاً من رضي بالدون وهو قادرٌ على المعالي.. من يؤثر شهوةً عابرة على جنةً الخلد وملكٍ لا يبلى.. من يؤجّلُ التوبةَ ويسوفُ بالأعمال الصالحة حتى يحالَ بينه وبينها بالموت.. يقول عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "الأيامَ تُطوى، والأعمارَ تفنى، فاعمَلوا قبل أن تُغلق الأبواب، وتطوى الصحف".. وقال الامام ابن الجوزي: "ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه".. قد هياؤك لأمر لو فطنت له .. فأربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل.. ثم إنّ التغييرَ المنشود, لا يَشترطُ أن تكون أفضلَ من غيرك، بقدر ما يشترطُ أن تكون أفضلَ مما أنت عليه الآن.. ولاشك أنّ ديننا العظيم، ومنهجهُ التربويِّ القويم، قد قرّر قاعدة التغيير، وجعلها مبنيةً على مدى قُدرة الأفرادِ على تغييرهِم لأنفسِهِم، وهو ما يُشيرُ إليه قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.. فتغيير ما بالأنفُس من أفكارٍ ومفاهيم، وميولٍ وقناعات، وعاداتٍ متأصلة، وسلوكيات ثابتة، حَسنةً كانت أو سيئة.. كلُّ ذلك أمرٌ وكلَهُ الله تعالى للبشر ومكنهم منه، تأمل: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}.. فالله جلَّ وعلا قد جعل مسألة التغيير للأفضل أو للأسوأ بيد الإنسان، وضمن حدودِ اختيارهِ وقراره، وجزءٌ من ابتلاءه واختباره.. قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}..

ومفتاح التغيير الحقيقي هو: الإرادة الداخلية.. فالتغيير الإيجابي لا يأتي من الخارج، بل يبدأ من الداخل، وهذا ما قرره ربنا في محكم التنزيل: {إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.. في صحيح مسلم: "إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ"، فليكن عامك الجديد عام إحسانٍ في كل شيء: في عبادتك، في تعاملك، في نيتك، في كلامك، في كظمك للغيظ، في صدقك مع نفسك، في ابتسامتك، في نصيحتك، في برّك بوالديك..

وإذا علمتَ يا عبد الله، أنك محاسَبٌ على أوقاتِك، مُسجلةٌ عليكَ جميعُ أقوالِك وأفعالِك، فاحرص على ما ينفعُك، واترك ما لا يعنيك، ودعْ ما يُريبُك إلى ما لا يُريبُك، ففي الحديث الصحيح: "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا".. {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}..

وأعلم أنَّك لن تنالَ ما تُحبَّ، إلا بترك ما تشتهي، ولن تُدرك ما تؤمِّل، إلا بالصبر على ما تكره، ولن تنالَ ما عند اللهِ، إلا بطاعته جلَّ في علاه، {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ....

{يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَار \* مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَاب}..

أقول ما تسمعون..

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى..

أما بعد فاتقوا الله عباد الله وكونوا مع الصادقين...

معاشر المؤمنين الكرام: إذا كان كل شيء في هذا الكون يتغير، فإنَّ اللائقَ بالمؤمن أن يتغيرَ نحو الأفضل.. فلنجعل من هذا العام الجديد محطةَ انطلاقٍ صادقةٍ نحو تغييرٍ أفضل لواقعنا، وإصلاحٍ عامٍ لأنفسنا، وتطهيرُ قلوبنا، وتزكيةُ أخلاقنا، وزيادة حسناتنا، وتدارك ما فاتنا.. {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِين}..

ولمن يتساءل عن الخطوات العلمية للتغيير الإيجابي المنشود، فإنَّ الخطوة الأولى هي تغييرُ القناعات.. أن نقتنعَ من داخلنا أن بمقدورنا أن نتغيرَ نحو الأفضل، وأن نعي تماماً أن كل فردٍ منا، مسؤولٌ عن تغيير نفسه، فإن لم يقم به بنفسه، فلن يقوم به أحدٌ نيابةً عنه.. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}... والخطوة الثانية: أن يُثير الانسانُ في نفسه رغبةً قويةً نحو التغيير.. حيث أنّ في داخل كلٍّ منا هناك قوةٌ كامنةٌ لا يخرجها إلا رغبةٌ جادةٌ، وإرادةٌ قويةٌ.. وبمجرد أن تكون هناك رغبةٌ كافيةٌ، فسترتفع بإذن الله الهمّة، ويسهُل أداء المهمّة،{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين}. والخطوة الثالثة: أن تؤمن من أعماقك أن الله قد وهبك من المواهب والقدرات ما يكفي وزيادة، لكي تحقق التغيير المنشود.. في صحيح مسلم، أن رجلاً أكلَ عند النبي ﷺ بيده الشمال، فقال له: "كُل بيمينك".. قال: لا أستطيع، قال: "لا استطعت، ما منعهُ إلا الكبر"، قال: فما رفعها إلى فيه.. أما الخطوة الأخيرة: فهي المبادرة.. وهي ضدُّ العجز والكسل، وما من فرصةٍ ثمينةٍ تفوتنا غالباً، إلا بسبب العجز وعدم المبادرة.. ومن يتأمل الآيات والأحاديث سيجدُ أن الانسانَ هو الذي يجبَ أن يُبادر أولاً.. تأمل معي هذا الحديث القدسي الصحيح، قال الله تعالى: (أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإنّ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة).. وما أكثرُ الآيات والأحاديث التي فيها من فعل كذا فله كذا وكذا.. وكل ذلك يتطلبُ المبادرة.. فنحن يا عباد الله في حاجة ماسةٍ للتغيير.. لأنه لا إصلاح إلا بتغيير، فإذا صلحت النفوس، أصلحت واقعها..: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيم}.. ونحن يا عباد الله بحاجة لأن نتغير، لأن الكثير من مواهبنا وطاقاتنا وامكانياتنا مهملةٌ معطلة، وغيرُ مستثمرة، ولأنّ الكثير من أوقاتنا ضائعةُ مهدرة.. كم من الأوقات تضيع بلا فائدة، كم من الفرائض والواجبات والالتزامات نتركها تهاونًا وكسلا.. كم من الكلمات تقال بلا تروي ولا حساب لعواقبها الوخيمة.. كم من الأموال تُصرفُ في الكماليات وغير الضروريات، فضلاً عماَّ يُصرفُ في المكروهات والمحرمات.. كم من الملابس والأدوات، وغيرها من المقتنيات والممتلكات، لا يزال مُكدساً في بيوتنا لسنواتٍ، بلا حاجةٍ ولا استخدام يُذكر؟.. كم من النصائحِ والمواعظِ سمعناها، واقتنعنا تماماً بجدواها، ثم لم نستفد منها حتى نسيناها؟.. كم هو الفائض من موائدنا ومطابخنا ومستودعاتنا يُرمى بلا فائدة، ودون أن يستفيد منه أحد، رغم أنه يُكلفُ الكثير؟.. أسئلةٌ كثيرةُ، تدل على أن هناك فارقاً كبيراً بين واقعنا الحالي، وبين ما ننشُده من تغيير نحو الأفضلِ.. والأمر سهلٌ ويسيرٌ على من وفقه الله، ولا يتطلب شيئاً كبيراً، اللهم إلا التعود على بعض السلوكيات الإيجابيةِ البسيطة، ولو بنسبةٍ قليلة، والتقليلَ من بعض السلوكيات السلبيةِ ولو بنسبةٍ قليلة.. فالقليلِ المستمر خُيرٌ من الكثيرِ المنقطع.. وفي الحديث المتفق عليه قال ﷺ: "أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قل".. وللصحابي الجليل عبدالله بن مسعود كلمة جميلة: تعودوا الخير فإن الخير عادة.. وشاعر الحكمة يقول: وَعاجِزُ النفسِ مِضياعٌ لِفُرصَتِهِ .. حَتّى إِذا فاتَهُ خيرٌ عاتَبَ القَدَرا ..

فيا أهل الإيمان، عامكم هذا صفحةٌ بيضاء جديدة، فانظروا ماذا تكتبون فيها، واعلموا أن النوايا الحسنةَ وحدها لا تصنعُ نجاحا.. وأن البداية التي ليس معها عزيمةٌ جادة، لا تُنتج تغييرًا مثمراً، وأن أعظم النهايات، تبدأ من صادق البدايات.. {فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم}..

فبادر تفز، وركز تنجز، واستعن بالله ولا تعجز، وقم وانطلق إلى حيث تستحق، وهيا لتكون أفضلَ ما يمكنك أن تكون.. {إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُون}..

ويا ابن آدم عش ما شئت فإنك ميت، واحبب من شئت فإنك مفرقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، وكما تدين تدان..